



# أدب الكلام وأثره في بناء العلاقات الإنسانية في ضوء القرآن الكريم

إعداد

عودة عبد عودة عبد الله

بحث تكميلي لنيل درجة الدكتوراه

في علوم الوحي والتراث

(قسم الدراسات القرآنية والحديثية)

كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية

الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

أكتوبر ٢٠٠٣ م

## ملخص البحث

تبحث هذه الدراسة في النواحي الأدبية والفنية للكلام الإنساني من خلال الآيات القرآنية، في محاولة لبيان أثر القول الحسن والكلمة الطيبة في النفس الإنسانية، وانعكاسات ذلك على العلاقات القائمة بين الناس.

وتهدف هذه الدراسة إلى إبراز جوانب الأدب والذوق الرفيع في استخدام القرآن الكريم أساليب التعبير الانتقائية حسب المواقف، سواء أكان ذلك من حيث التوجيهات القرآنية التي تحت صراحة على التزام أدب الكلام باعتباره خُلُقاً إسلامياً رفيعاً، أم من حيث المواقف والمشاهد القرآنية التي يظهر فيها هذا الخُلُق بصورة واضحة جلية.

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي التحليلي باعتبارها دراسة في التفسير الموضوعي للقرآن، حيث تم استقصاء الآيات القرآنية التي تحت على أدب الكلام، ومن ثم تحليلها للتعرف على أسرارها ومضامينها. كما اعتمدت على المنهج التطبيقي الذي تمثل في عرض نماذج من القصص القرآني، والتي ظهر من خلالها وبشكل واضح أدب الأنبياء في مخاطبة أقوامهم.

توصّلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، من أهمها: أن القرآن الكريم غني بالتوجيهات التي تحت على مخاطبة الآخرين بالكلمة الطيبة، كما أن القرآن الكريم أقرّ المبادئ الأساسية للعلاقات الإنسانية، وأصلّ لأدب التعامل مع الآخرين، وذلك من خلال حرصه الشديد على الأسلوب الذي يُؤدّي به الكلام، وتأكيد على أهميته البالغة وخطورته الكبيرة. ثم إن القرآن الكريم أسّس لمنهج واضح في توجيه نحو أدب الكلام، تمثل في الحث على استخدام الألفاظ ذات الظلال الطيبة، والدعوة إلى استخدام أسلوب الكناية والابتعاد عن الألفاظ التي لا يُستحسن ذكرها، مع الناس عامة ومع ذوي المكانة والشأن خاصة. ويعرض لنا في هذا السياق نماذج يُقتدى بها. إضافة إلى تحذير القرآن المستمر من مخالطة الذين لا يلتزمون هذا الأدب في حديثهم.

## ABSTRACT

This study looks into the aspects of euphemism, and leniency in the human discourse in the light of the Qur'anic guidance aiming to elucidate the impact of the kind word and gentle saying on the people's behavior and their social interrelations.

The objective of the study is to exhibit and bring to light the euphemistic and highly elegant aspects of discourse in the Qur'anic usage of selective expressions that deal with particular circumstances. The Qur'anic teachings explicitly urge people to adhere to the euphemistic and gentle manner of discourse for it is regarded as a paramount Islamic virtue. In addition, the Qur'ān makes mention of examples and stories that indicate the importance of this Islamic virtue.

The study is based on the analytical inductive methodology since it is considered to be a thematic study of the Qur'ān whereby the researcher initially traces all the Qur'anic verses that urge the adherence to the gentle discourse and then thoroughly analyzes its nuances and connotations. In addition, the study adopts the empirical approach, whereby it lays out a number of practical examples from the stories mentioned in the Qur'ān that exhibit the extremely lenient and elegant manners of the Prophets when addressing their respective folks.

The study arrives at a number of findings the most important of which is the fact that the holy Qur'ān abounds with instructions that urge people to address others gently. In addition, the Qur'ān through its careful and lenient approach confirms the main principles that regulate the human relations and sets up the basic norms and ethics of treating others and establishing relations with them. Furthermore, the holy Qur'ān has, indeed, established a conspicuous approach of discourse characterized by its emphasis on the usage of euphemistic and gentle words and expressions. The Qur'ān also calls people to avoid using harsh and unpleasant words and sayings when addressing ordinary people in general and those of prestigious status in particular. Meanwhile, the Qur'ān makes mention of some of the good examples in regard to the virtue of gentleness in discourse (to be emulated), and finally it warns against associating with those who do not adhere to this Islamic virtue.

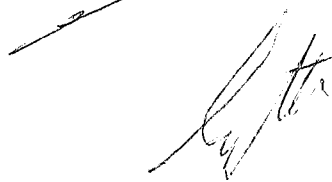
# APPROVAL PAGE

(For Ph.D.)

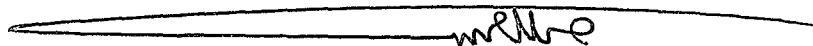
The thesis of Odeh A. O. Abdullah has been examined and approved by the following;



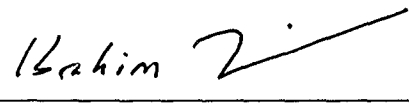
~~Mohamed Baha addin (Supervisor)~~



Layeth Suud Jassim



Jamal Ahmad Basheir Badi

for 

Suat Yildirim (External Examiner)



Ibrahim M. Zein (Chairman)

## DECLARATION

I hereby declare that this thesis is the result of my own investigations, except where otherwise stated. Other sources are acknowledged by footnotes giving explicit references and a bibliography is appended.

Name: Odeh A. O. Abdullah

Signature: C. h/s .....

Date: 14-10-2003 .....

## الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

### إقرار بحقوق الطبع وإثبات مشروعية استخدام الأبحاث غير المنشورة

حقوق الطبع ٢٠٠٣ محفوظة لـ: عودة عبد عودة عبد الله.

أدب الكلام وأثره في بناء العلاقات الإنسانية.

لا يجوز إعادة إنتاج أو استخدام هذا البحث غير المنشور في أي شكل وبأي صورة (آلية كانت أو إلكترونية أو غيرها) بما في ذلك الاستنساخ أو التسجيل من دون إذن مكتوب من الباحث إلا في الحالات الآتية:

١. يمكن للآخرين اقتباس أية مادة من هذا البحث غير المنشور في كتاباتهم بشرط الاعتراف بفضل صاحب النص المقتبس وتوثيق النص بصورة مناسبة.
٢. يكون للجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا ومكتبتها حق الاستنساخ (بشكل الطبع أو بصورة آلية) لأغراض مؤسساتية وتعليمية، ولكن ليس لأغراض البيع العام.
٣. يكون لمكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا حق استخراج نسخ من هذا البحث غير المنشور إذا طلبتها مكتبات الجامعات ومراكز البحوث الأخرى.
٤. سيزود الباحث مكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا بعنوانه مع إعلامها عند تغير العنوان.
٥. سيتم الاتصال بالباحث لغرض الحصول على موافقته على استنساخ هذا البحث غير المنشور للأفراد من خلال عنوانه البريدي أو الإلكتروني المتوفر في المكتبة. وإذا لم يستجب الباحث خلال عشرة أسابيع من تاريخ الرسالة الموجهة إليه، ستقوم مكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا باستخدام حقها في تزويد المطالبين به.

أكد هذا الإقرار: عودة عبد عودة عبد الله

14-10-2003

التاريخ

\_\_\_\_\_  
التوقيع

إلى والديّ الكريمين .. بسمة الأمل في هذه الحياة

إلى زوجتي الغالية التي تحمّلت معي عناء الترقُّب والانتظار

أقدّم هذا الجهد .. حباً ووفاءً

## شكر وتقدير

اعترافاً لذوي الفضل بفضلهم لا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى كل من كانت له يدٌ في إخراج هذا البحث على صورته النهائية هذه. وأخصُّ بالشكر والامتنان أستاذي الدكتور محمد بهاء الدين الذي تكرم بالإشراف على هذه الرسالة، ولم يألُ جهداً في تقديم التوجيه والإرشاد، وكان معي خلال هذه المدة مثلاً في الخلق والأدب واللطف.

وأتقدم بخالص شكري ووافر تقديري إلى الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة: الدكتور ليث سعود جاسم، والدكتور جمال بادي، والأستاذ الدكتور سعاد ييلديرم، الذين تفضلوا بقبول مناقشة الرسالة لتهديها وتشذيبها، وتخليصها من الأخطاء والهتات، فجزاهم الله عني كل خير.

والشكر موصولٌ إلى الأساتذتين الكريمين: الدكتور إبراهيم زين نائب عميد مركز الدراسات العليا، والدكتور نصر الدين إبراهيم المعاون الخاص للعميد. كما أتقدم بجزيل الشكر إلى كل من أسهم في إنجاز هذه الرسالة، وكان له فضلٌ عليّ بالمساعدة وتذليل الصعوبات، وأخصّ منهم: الأخ جواد عبد الله، والأخ لؤي عبد الله، والأخت رولا إبراهيم. ولا يفوتني في هذا المقام أن أشكر العم العزيز إبراهيم عبد الله الذي لم يتوان لحظةً عن نصحي وشحن همتي نحو إكمال هذا المشروع.



# المحتويات

ب.....	ملخص البحث.....
ج.....	ABSTRACT.....
د.....	APPROVAL PAGE.....
هـ.....	DECLARATION.....
و.....	إقرار.....
ز.....	إهداء.....
ح.....	شكر وتقدير.....
ط.....	المحتويات.....
١.....	الفصل التمهيدي: الإطار المنهجي للرسالة.....
٢.....	المقدمة.....
٣.....	أهمية الموضوع.....
٦.....	إشكالية الدراسة.....
٦.....	أسباب اختيار الموضوع.....
٩.....	منهجية الدراسة.....
١٠.....	الدراسات السابقة.....
٢١.....	خطة الدراسة.....
٢٣.....	الفصل الأول: أدب الكلام وأهميته في القرآن الكريم.....
٢٤.....	المبحث الأول: تعريف المصطلحات الخاصة بالدراسة.....
٢٤.....	أولاً: مفهوم الأدب.....
٢٤.....	- الأدب في اللغة.....
٢٤.....	- الأدب في الاصطلاح.....
٢٦.....	ثانياً: مفهوم الكلام.....
٢٦.....	- الكلام في اللغة.....
٢٨.....	- الكلام في الاصطلاح.....

٣٢	ثالثاً: مفهوم العلاقات الإنسانية .....
٣٤	المبحث الثاني: أهمية الكلام وخطورته .....
٤٠	صور قرآنية في السعادة والشقاء .....
٤٠	- شقاء إبليس .....
٤٠	- سعادة آدم وزوجه .....
٤١	- شقاء أبي لهب .....
٤٢	- شقاء الوليد بن المغيرة .....
٤٣	- سعادة المطيع وشقاء العاصي .....
٤٥	المبحث الثالث: مكانة الكلام في القرآن .....
٤٥	أولاً: الكلام نعمة إلهية .....
٤٧	ثانياً: مسؤولية الإنسان عن كلامه .....
٥٢	المبحث الرابع: عناية القرآن بالكلام وأسلوب أدائه .....
٥٤	أولاً: الكلمة الطيبة .....
٥٨	ثانياً: القول الحسن .....
٦٠	ثالثاً: القول المعروف .....
٦٤	رابعاً: القول السديد .....
٦٦	خامساً: القول الميسور .....
٦٧	سادساً: القول الكريم .....
٦٨	الفصل الثاني: أدب الكلام والاتصال بالآخرين من منظور قرآني .....
٦٩	المبحث الأول: العلاقات الإنسانية وأدب التعامل مع الآخرين .....
٦٩	أولاً: المبادئ القرآنية للعلاقات الإنسانية .....
٧٤	ثانياً: المبادئ القرآنية لأدب التعامل مع الآخرين .....
٧٨	المبحث الثاني: وسائل التفاهم والتواصل البشري ودور الكلام فيها .....
٧٨	أولاً: مفهوم الاتصال الإنساني وأهميته .....
٨٠	ثانياً: البعد الديني للاتصال الإنساني .....
٨٢	ثالثاً: وسائل التفاهم والتواصل البشري .....
٨٣	- الاتصال اللفظي .....
٨٥	- الاتصال غير اللفظي .....

٨٩.....	رابعاً: نماذج قرآنية للاتصال غير اللفظي وعلاقتها بأدب الكلام.....
٨٩.....	- لغة العيون.....
٩٣.....	- تعبيرات الوجه.....
٩٦.....	- الإشارات وحركات الجسم.....
٩٩.....	- المظهر واللباس.....
١٠٤.....	المبحث الثالث: أدب الكلام والدعوة إلى الله.....
١٠٤.....	أولاً: أهمية الكلام في الدعوة إلى الله.....
١٠٧.....	ثانياً: أدب الكلام من أهم وسائل الدعوة إلى الله.....
١٠٨.....	- الحكمة.....
١١١.....	- الموعظة الحسنة.....
١١٦.....	- المجادلة بالحسنى.....
١٢١.....	المبحث الرابع: أدب الكلام والحفاظ على وحدة الصف وحل المشكلات الاجتماعية....
١٢١.....	أولاً: أدب الكلام وأثره على وحدة الصف ولم الشمل.....
١٢٤.....	ثانياً: أدب الكلام وأثره في حل المشكلات الاجتماعية.....
	<b>الفصل الثالث: المنهج القرآني في الحث على أدب الكلام وانعكاساته على العلاقات</b>
١٢٩.....	الإنسانية.....
١٣٠.....	المبحث الأول: مراعاة الظلال العامة للكلام.....
١٣٠.....	أولاً: اختيار الألفاظ ذات الظلال الطيبة.....
١٣٦.....	ثانياً: الصوت والمعنى.....
١٤١.....	المبحث الثاني: اللجوء إلى الكناية وعدم التصريح ببعض الألفاظ.....
١٤٢.....	أولاً: الإفضاء.....
١٤٣.....	ثانياً: التغمي.....
١٤٤.....	ثالثاً: الحرث.....
١٤٥.....	رابعاً: اللمس والمس.....
١٤٦.....	خامساً: الرّفث.....
١٤٧.....	سادساً: المباشرة.....
١٤٧.....	سابعاً: الدخول.....

- ١٤٨..... ثامناً: الهجر
- ١٤٩..... تاسعاً: الاعتزال والإتيان والاقتراب
- ١٥٥..... المبحث الثالث: الإخبار بأن أدب الكلام من صفات الصفوة
- ١٥٥..... أولاً: أدب الكلام من صفات الأنبياء
- ١٥٥..... - أدب إبراهيم عليه السلام
- ١٥٦..... - أدب أيوب عليه السلام
- ١٥٨..... - أدب موسى عليه السلام
- ١٥٨..... - أدب الخضر عليه السلام
- ١٦٠..... - أدب عيسى عليه السلام
- ١٦٢..... ثانياً: أدب الكلام من صفات أهل الجنة
- ١٦٤..... ثالثاً: أدب الكلام من صفات عباد الرحمن المخلصين
- ١٦٨..... المبحث الرابع: التحذير من مخالطة الذين يسيئون الأدب في الكلام
- ١٦٨..... أولاً: الدعوة إلى الإعراض عن الخائضين في آيات الله
- ١٧٠..... ثانياً: الدعوة إلى الإعراض عن اللغو
- ١٧٤..... المبحث الخامس: الحث على أدب الكلام مع ذوي المكانة والشأن
- ١٧٤..... أولاً: أدب الكلام مع الرسول ﷺ
- ١٧٤..... - النهي عن التقدم بين يدي رسول الله ﷺ
- ١٧٥..... - النهي عن رفع الصوت في حضرة النبي ﷺ
- ١٧٧..... - الثناء على الذين يغيضون من أصواتهم في حضرة النبي ﷺ
- ١٨٠..... - استنكار مناداته الرسول ﷺ من وراء الحجرات
- ١٨٢..... ثانياً: أدب الكلام مع الوالدين
- ١٨٤..... - النهي عن التأفف في وجههما
- ١٨٤..... - النهي عن نهرهما
- ١٨٥..... - الحث على مخاطبتهما بالقول الكريم
- ١٨٥..... - الحث على الدعاء لهما
- ١٨٨..... ثالثاً: أدب الكلام مع العلماء

## الفصل الرابع: التوجيهات والضوابط القرآنية في الحث على أدب الكلام وأثرها في بناء

- العلاقات الإنسانية ..... ١٩٢
- المبحث الأول: النهي عن فضول الكلام والخوض في الباطل ..... ١٩٣
- أولاً: فضول الكلام ..... ١٩٣
- ثانياً: الخوض في الباطل ..... ١٩٧
- المبحث الثاني: النهي عن السب والفحش في القول ..... ٢٠٥
- المبحث الثالث: الحث على الصمت وحسن الاستماع ..... ٢١١
- أولاً: فضل الصمت ..... ٢١١
- ثانياً: الإصغاء وحسن الاستماع ..... ٢١٥
- المبحث الرابع: الحث على خفض الصوت وعدم رفعه ..... ٢٢١
- المبحث الخامس: الحث على طلاقة الوجه وعدم العبوس ..... ٢٢٦
- المبحث السادس: ذم السؤال عن بعض الأمور ..... ٢٣١
- المبحث السابع: الحث على أداء التحية وردّها ..... ٢٣٧
- المبحث الثامن: النهي عن التجوى ..... ٢٤١
- المبحث التاسع: النهي عن تركية النفس ..... ٢٤٥
- المبحث العاشر: النهي عن السخرية والتنايز بالألقاب ..... ٢٤٩
- أولاً: السخرية ..... ٢٤٩
- ثانياً: اللمز والتنايز بالألقاب ..... ٢٥٠
- المبحث الحادي عشر: النهي عن الغيبة والنميمة ..... ٢٥٣
- أولاً: الغيبة ..... ٢٥٣
- ثانياً: النميمة ..... ٢٥٥

## الفصل الخامس: أدب الكلام في القصة القرآنية / دراسة تطبيقية من خلال نماذج

- مختارة ..... ٢٥٨
- المبحث الأول: مع قصة نوح عليه السلام ..... ٢٥٩
- أولاً: الأسلوب الذي اختاره نوح في طرح دعوته ..... ٢٦٠
- ثانياً: الأسلوب الذي حاور به نوح قومه ..... ٢٦١

٢٦٦.....	المبحث الثاني: مع قصة إبراهيم عليه السلام
٢٦٦.....	أولاً: موقف إبراهيم مع أبيه
٢٧٤.....	ثانياً: موقف إبراهيم مع ابنه
٢٧٥.....	- الجوانب الأدبية في كلام إبراهيم
٢٧٦.....	- الجوانب الأدبية في ردّ الابن الذبيح
٢٧٩.....	المبحث الثالث: مع قصة يوسف عليه السلام
٢٧٩.....	أولاً: موقف يوسف مع السجناء
٢٨٤.....	ثانياً: موقف يوسف مع إخوته
٢٨٧.....	المبحث الرابع: مع قصة موسى عليه السلام
٢٨٧.....	أولاً: موقف موسى مع فرعون
٢٩١.....	ثانياً: موقف موسى مع قومه (قصة البقرة)
٢٩٧.....	ثالثاً: موقف موسى مع الخضر
٣٠٣.....	الخاتمة
٣٠٣.....	أولاً: الخلاصة والنتائج
٣٠٩.....	ثانياً: المقترحات والتوصيات
٣١٠.....	قائمة المصادر والمراجع
٣١٠.....	أولاً: الكتب باللغة العربية
٣٢٩.....	ثانياً: الكتب باللغة الإنجليزية
٣٣٠.....	ثالثاً: البحوث والمقالات
٣٣١.....	الفهارس
٣٣٢.....	أولاً: فهرس الآيات القرآنية
٣٤١.....	ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية
٣٤٦.....	ثالثاً: فهرس الأعلام
٣٥١.....	رابعاً: فهرس الأبيات الشعرية

# الفصل التمهيدي

## الإطار المنهجي للرسالة

أولاً: المقدمة

ثانياً: أهمية الموضوع

ثالثاً: إشكالية الدراسة

رابعاً: أسباب اختيار الموضوع

خامساً: منهجية الدراسة

سادساً: الدراسات السابقة

سابعاً: خطة الدراسة

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### أولاً: المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وبعد.

القرآن الكريم كتاب الله الذي لا تنقضي عجائبه، ولا يخلقُ على كثرة ترديده والتأمل فيه. وهو المنهل العذب الذي نستقي من ينابيعه الحكمة وفنون الأدب. والحديقة الغناء التي تنفياً في ظلالها الوارفة، ونقطف من أزهارها بديع القول وطيب الكلام.

والكلام القرآني لا يقف في روعته عند الحدود التي يقف عندها الكلام المألوف من حيث رونق اللفظ وجمال التعبير فحسب، بل هو ذوقٌ أدبيٌّ بلغ النهاية في الرفعة والسمو، وتعبيراً فريداً بلغ النهاية في التنسيق والحسن والجمال. يراعي الطبيعة البشرية التي يؤثر فيها القول الحسن والكلمة الطيبة والموعظة الرقيقة، والأسلوب اللين. فالقرآن الكريم حين يخاطب هذا الكائن البشري الذي تتمثل فيه مجموعة من المشاعر والأحاسيس، يخاطبه بكلامٍ في قمة الأدب، فيستخدم أجمل مفردات اللغة في التعبير عن الموقف، بأدبٍ في منتهى الروعة، على سبيل الحقيقة أو المجاز أو الكناية. فيجرح أحياناً إلى المجاز حيث فيه مراعاة الأدب الرفيع، كما يلجأ إلى الكناية عندما يكون في التصريح باللفظ منافاة للأدب والذوق. فللقرآن الكريم في تربيته للذوق، وتنميته للشعور، وإرهافه للحس، وسموه بالروح، أسلوبٌ انفرد به عن كل أساليب الكلام.

وتأتي هذه الدراسة التي أطلق عليها الباحث عنوان «أدب الكلام وأثره في بناء العلاقات الإنسانية في ضوء القرآن الكريم» كمحاولةٍ جادةٍ لإبراز جوانب الأدب والذوق الرفيع في استخدام القرآن الكريم أساليب التعبير الانتقائية حسب المواقف، ودور ذلك في



بناء العلاقات الاجتماعية بين الناس. سواءً أكان ذلك من حيث التوجيهات القرآنية التي تحثُ صراحةً على التزام أدب الكلام باعتباره خُلُقاً إسلامياً ربيعاً. أم من حيث المواقف والمشاهد القرآنية التي يظهر فيها هذا الخُلُق بصورة واضحة جليّة.

وذلك انطلاقاً من الحرص القرآني على الاهتمام بصياغة موضوع الكلام وأسلوب أدائه، باعتباره وسيلة الاتصال بين بني البشر. فالكلام هو واسطة التفاهم والتعارف بين الناس، فلا يستغني المرء عن محادثة غيره في شؤون الحياة ونُظُم الأعمال. والإنسان "مدنيٌّ بالطبع" لا يمكنه بأيّ حال أن يعيش منعزلاً عن الآخرين، دون أن يقيم علاقاتٍ معهم.

ولما كان الكلام انعكاساً لما عليه حقيقة الإنسان، ودليلاً على ما في قلبه ونفسه، وجب أن يكون صحيحاً مختاراً ذا فائدة، صادراً عن عقل وروية، وصدق وحسن طوية، بعيداً عن البطلان والسخرية، قليلاً على قدر الكفاية، فإنّ الكلام الكثير قد يُنسي بعضه بعضاً، وتكراره لغير فائدة يدعو إلى السامة والملل، وقلّما سلّم مُكثّرٌ من لغو وهذر. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾<sup>١</sup>. وقال: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾<sup>٢</sup>. وقال: ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾<sup>٣</sup>.

## ثانياً: أهمية الموضوع

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من طبيعة الموضوع الذي تعالجه، والظاهرة التي تدرسها، والمنهج الذي تسير عليه. ويمكن إجمال جوانب أهمية الدراسة في الآتي:

- حاجة المكتبة الإسلامية عامة، والدراسات القرآنية خاصة، إلى مثل هذا النوع من الدراسة، الذي يعالج جانباً فنياً يتعلق بالذوق وأسلوب أداء الكلام ومدى تأثير ذلك في

١ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: مقدمة ابن خلدون، (بيروت: دار القلم، ط ٥، ١٩٨٤م)، ص ٤١.

٢ سورة الأحزاب: الآيتان (٧٠، ٧١).

٣ سورة البقرة: الآية ٨٣.

٤ سورة النساء: الآية ٥.

بناء العلاقات الإنسانية. فمما يُؤسَف له، أن هذا الموضوع حَظِيَ بنصيبٍ وافرٍ من العناية في دراسات الغربيين، في حين أن الدراسات الإسلامية فيه ما تزال نادرة، وإن وُجدت فلا تتعدى أن تكون مجرد شذرات متفرقة هنا وهناك.

■ مما يدل على أهمية هذه الدراسة، شرف الموضوع الذي تتعلق به، وهو جانب الأدب في كلام الله تبارك وتعالى. وقد كان كلام الله لموسى عليه السلام مظهراً من مظاهر التكريم ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾<sup>٥</sup>. والكلام نعمة إلهية ميز الله بها الإنسان على سائر المخلوقات ﴿خلق الإنسان \* علمه البيان﴾<sup>٦</sup>. ويُعدّ الكلام أهم وسيلة للاتصال والتفاهم بين الناس، فهو المظهر الذي يعبر عن مَخْبَر الإنسان والكاشف عن شخصيته التي يتعامل بها مع الناس. إن كلام الإنسان هو الذي يحدد معالم شخصيته، إذ به تُعرف استقامته، وصدقه وأدبه، وبه يكون خفيف الروح أو ثقيل الظل، وبه يكون مهذباً لبقاً، أو فظاً غليظاً. وبه يكون ذا وجه واحد، أو ذا وجهين، بل به تكون كلمة الإيمان أو كلمة الكفر. إنه الترجمان الذي يكشف عما في النفس، والشاهد الذي يُفصح عما في الضمير. ولذا، فالكلام هو الكاشف الذي يحدد قدر الإنسان ومكانته، إيجاباً أو سلباً، فالساكت معدن مجهول، فإذا تكلم كان ذهباً أو تبراً، وربما كان حديداً أو قاراً. يُذكر في هذا السياق أن رجلاً ذا هيبة ووقار، دخل على أبي حنيفة النعمان<sup>٧</sup> - رحمه الله - وكان مادداً رجله، فلما رآه أبو حنيفة أصلح من جلسته وأكرمه، وقد ظنه من أهل العلم، فسأل الرجل أبا حنيفة سؤالاً عرف به جهله المطبق، فقال حينئذٍ كلمته: أن لأبي حنيفة أن يمدّ رجله<sup>٨</sup>.

٥ سورة النساء: الآية ١٦٤ .

٦ سورة الرحمن: الآيتان (٣، ٤).

٧ هو الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، أحد الأئمة الأربعة المشهورين، لقي ستاً من الصحابة، قال عنه الإمام الشافعي: "الناس عيالٌ في الفقه على أبي حنيفة". ولد سنة ٨٠هـ وتوفي سنة ١٥٠هـ. انظر: ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج ١، ص ٢٢٧.

٨ انظر: الشامي، صالح أحمد: التربية الجمالية في الإسلام، (بيروت: المكتب الإسلامي)، ص ١٠٥ .

وقد قال زهير بن أبي سلمى<sup>٩</sup> في مكانة الكلام من الإنسان:

وكائن ترى من صامتٍ لك مُعجِبٍ      زيادتهُ أو نقصه في التكلّم  
لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادهُ      فلم يبقَ إلا صورةُ اللحمِ والدمِ<sup>١٠</sup>

بل أصبحت الكلمة على هذه الصورة "كائناً حياً يعيش بيننا، يُعبّر عن حياتنا باللفظ والرمز والإيحاء، سواء على مستوى العقل والعلم، أو مستوى الوجدان والفن. ولذلك فإنّ أساليب استخدامها وتوظيفها تقدّم معياراً دقيقاً لرقّي المجتمع أو انحطاطه في ميدان الفكر والثقافة والعلم والخلق والحضارة"<sup>١١</sup>.

■ يزيد من أهمية هذه الدراسة، حاجتنا الماسّة إلى حلّ كثيرٍ من الإشكالات التي تعصف بالمجتمعات، والخلافات التي تدبُّ بين بني البشر، وإعادة بناء العلاقات الإنسانية على أساسٍ من الثقة والاحترام المتبادل، ومراعاة المشاعر والأحاسيس. فحين ننظر من حولنا، نجد صراعات تقوّم، وفتناً تتور، وجماعات تتفرق، وأوقاتاً تضيع، وحين ندقق في مبدأ الأمر ومصدره، نجد الشرارة الأولى من كلمات طائشة، أو اتهامات غاضبة، أو نقل خاطئ. وقد أشار رسول الله ﷺ إلى خطر الكلام حينما سأله عقبة بن عامر<sup>١٢</sup> رضي الله عنه عن السبيل إلى النجاة، فقال له ﷺ: «أمسكْ عليك لسانك، وليَسَعك بيتك، وأبكِ على خطيئتك»<sup>١٣</sup>.

٩ هو ربيعة بن رباح المزني، جاهلي من شعراء المعلقات، عاش في الفترة التي سبقت ظهور الإسلام، يحظى شعره بتقدير النقاد لأسباب فنية وأخلاقية، وأعجب عمر بن الخطاب بشعره لما فيه من صدق في المنطق. انظر: الموسوعة العربية العالمية، (الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع)، ج ١١، ص ص (٦٥٨ - ٦٥٩).

١٠ ابن أبي سلمى، زهير: ديوان زهير بن أبي سلمى، (بيروت: دار صادر)، ص ص (٨٨ - ٨٩).

١١ راغب، نبييل: شرف الكلمة، (مكتبة المحبة)، ص ١١.

١٢ هو الصحابي المشهور عقبة بن عامر بن عيس بن عمرو الجهني، أحد الذين جمعوا القرآن، روى عن النبي ﷺ كثيراً، وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين، مات في خلافة معاوية. انظر: ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي: الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، (بيروت: دار الجليل، ط ١، ١٤١٢ هـ/١٩٩٢م)، ج ٤، ص ٥٢٠.

١٣ الطبراني، أبو القاسم، سليمان بن أحمد بن أيوب: المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، (الموصل: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م)، حديث رقم ٧٤١، ج ١٧، ص ٢٧٠.

وهذه الدراسة تُسهم في توجيه الخُطى نحو الطريق التي من شأنها أن تعمل على تجاوز كثير من هذه الإشكالات، وذلك عن طريق دور الكلمة في توثيق عُرى المحبة بين الناس، وإقامة العلاقات بينهم على أسسٍ متينة، والإرشاد إلى طريق الخير والصواب، من خلال التوجيهات القيّمة، والوقفات الرائعة، التي حَفَلَتْ بها نصوص القرآن الكريم.

### ثالثاً: إشكالية الدراسة

تكمن الإشكالية التي جاء البحث لمعالجتها في الإجابة على التساؤلات التالية:

- ما مدى اهتمام القرآن الكريم بأدب التعامل وبناء العلاقات بين الناس؟
- كيف اعتنى القرآن الكريم بموضوع الكلام وأسلوب أدائه؟
- كيف يمثّل الكلام أهم جوانب الاتصال بالآخرين، وأفضل وسيلة من وسائل التفاهم البشري؟
- كيف يُعدّ أدب الكلام من أهم وسائل الدعوة إلى الله، وأفضل طريق في الوصول إلى قلوب الآخرين؟
- ما المنهج الذي اتبعه القرآن الكريم في الحث على أدب الكلام؟ وما انعكاساته على العلاقات الإنسانية؟
- كيف مثلّ الحوار القرآني نموذجاً حياً من نماذج أدب الكلام؟ وكيف كان له دورٌ فعّال في بناء العلاقات الإنسانية؟

### رابعاً: أسباب اختيار الموضوع

لم يكن اختياري لهذا الموضوع عشوائياً، أو أنه جاء بمحض الصدفة، أو وليد اللحظة، وإنما بدأتُ فكرة هذا الموضوع في ذهني منذ مدة طويلة، وذلك حين بدأ اهتمامي ينصبُّ على موضوع الكلام وأثره في بناء العلاقات الإنسانية، وأصبح هذا الموضوع يشغل حيزاً واسعاً من تفكيري، وبدأتُ منذ ذلك الحين بالقراءة وجمع المعلومات المتعلقة به، حتى توفرت لديّ مادة علمية جيدة.

وعندما توجهتُ بنظري إلى القرآن الكريم لمعرفة مدى تطرقه لهذا الموضوع، وجدته زاخراً بالآيات المبيّنة لكثيرٍ من جوانبه، والموضحة لكثيرٍ من قضاياها، بأكثر من صورة وشكل، الأمر الذي دفعني للنظر في كتب التفسير بشكل خاص، وكتب التراث الإسلامي بشكلٍ عام، فوجدتها قد احتوت مادة علمية غزيرة في أدب العلاقات الاجتماعية وقواعد التعامل بين الناس. بعدها اقتنعتُ تماماً بأن ما عرّضَ له القرآن في هذا السياق يصلحُ لأن يُكتب فيه عدّة رسائلٍ جامعية. ونظراً لاتساع جوانب هذا الموضوع رأيتُ أن تكون دراستي متخصصةً في جانب من جوانب أدب التعامل، وهو جانب «أدب الكلام»، وذلك بهدف إبراز دوره في بناء العلاقات الإنسانية في ضوء النص القرآني.

واطلعتُ في الوقت ذاته على مجموعة من الكتب للمؤلف الأمريكي دايل كارنيغي Dale Carnegie تتحدث عن موضوع أدب التعامل بين الناس، وكيفية الوصول إلى قلوب الآخرين. وإن كانت هذه الكتب تتحدث عن الموضوع من وجهة نظرٍ غربية، إلا أن ذلك رسّخ في ذهني هذه القضية، وأخذ بيدي لدراستها دراسة تتفق وتخصني في هذه المرحلة.

ويمكن إجمال الأسباب التي دفعتني إلى الكتابة في هذا الموضوع - إضافة إلى ما سبق - بما يلي:

- إرفاد الدراسات الموضوعية، التي أضحت تعالج كثيراً من مشكلات الأمة الإسلامية، ليكون هذا البحث لبنة من لبنات البناء الشامخ بإذن الله تعالى.
- عدم وجود دراسة مستوفاة - حسب المعطيات المتوفرة لدي - في هذا الميدان، تقدّم منهجاً متكاملًا، ومفاهيم كلية، وتطبيقات عملية، مستوحاة من نصوص القرآن الكريم.
- التأصيل القرآني لهذا الموضوع، الذي حظيَ بنصيب وافٍ من العناية في الدراسات الغربية. فالملاحظ في كثيرٍ من كتابات الغربيين، أنها تطرقت لموضوع أدب الكلام، مبرزةً دوره الإيجابي في توثيق عرى المحبة بين الناس، وفي القدرة على اختراق الكثير من الحواجز النفسية، والوصول بسهولة إلى قلوب الآخرين. وخير شاهد على ذلك ما كتبه المؤلف الأمريكي دايل كارنيغي Dale Carnegie حيث وضع مجموعة من الكتب

في هذا المجال، وهي: «كيف تتعامل مع الناس»، «كيف تكسب الأصدقاء»، «فن الخطابة»، «دع القلق وابدأ الحياة». وقد تُرجمت هذه الكتب إلى عدة لغات؛ منها العربية، ولقيت شهرةً واسعةً في أنحاء العالم.

■ الشعور بحاجة الماسة في هذه الأيام إلى نوع معين من الدعاة، يعرف كيفية الوصول إلى قلوب الآخرين مسترشداً بالخطاب القرآني. فمن أكبر المشكلات التي ابتُلِيَ بها كثير من الدعاة في هذه الأيام، غياب هذه المعاني النبيلة عن كثيرٍ منهم. فتجد لسان أحدهم لا يعرف إلا التكفير والتضليل والتفسيق، بدلاً من الأدب والحب والعطف، لدرجة أن بعضهم ينفر عن الإسلام بدلاً من أن يؤلّف قلوب الناس عليه. وما ذلك إلا لأنه لم يعرف الوسيلة التي من خلالها يستخدم الكلمة الطيبة والقول الحسن في الاتصال بقلوب الآخرين وملامسة وجدانهم وأحاسيسهم ومشاعرهم، من أجل نقل أفكاره إليهم.

■ الشعور بمدى الحاجة إلى مراعاة أدب الاختلاف كما جاء في القرآن. فقد أصبح الكثير من المسلمين في هذه الأيام، يعانون فيما بينهم من صلافة في المنطق، وقساوة في المعاملة، وجلافة في الحديث. فأردتُ أن أبحث في علاج هذه المشكلة، وليس هناك أفضل من كتاب الله تعالى يُرْجَع إليه في علاج مشكلاتنا، وبحث قضايانا. وعلى ذلك فإنه يمكن استثمار نتائج هذه الدراسة والاعتماد عليها في دراسة سلوك الأفراد والجماعات، على ضوء سنن الله في النفس والمجتمع، وبالتالي تحديد النقاط التي يمكن أن تكون منطلقاً للتغيير.

■ الوقوف على أسرار وأسباب المشكلات التي تواجه البشرية بشكل عام، والأمة الإسلامية بشكل خاص. فما هذه الأزمات التي نواجهها الآن ويواجهها العالم بأسره إلا انعكاس لبعض الكلمات النابية الجارحة، والتصرفات الخاطئة، والمواقف الشائنة، والمعاملة السيئة.

## خامساً: منهجية الدراسة

تتلخّص المنهجية التي تقوم عليها هذه الدراسة في النقاط الآتية:

- المنهج الاستقرائي: وذلك باستقراء الآيات القرآنية التي لها صلة بموضوع الدراسة، ثم تصنيفها بما يتناسب وأبواب الدراسة. كما هو المنهج الذي تسير عليه دراسات التفسير الموضوعي للقرآن.
- المنهج المقارن: وذلك من خلال عقد المقارنات والموازنات. كالمقارنة بين المجتمع الإسلامي الأوّل والمجتمع الحالي في قضايا التعامل والأدب والذوق. وكالمقارنة بين أدب الأنبياء في الدعوة ومواقف أقوامهم الجاحدة، كما كان بين موسى وبني إسرائيل.
- المنهج التحليلي: وذلك من خلال:
  - استخراج التوجيهات والقيم من الآيات القرآنية، وربطها بالواقع الحالي للأمة الإسلامية. وذلك حتى لا تبقى هذه الدراسة مجرد نظريات خيالية لا معنى لها، بعيدة عن واقع الأمة وهمومها.
  - استخراج الأسرار والحكم من الآيات القرآنية موضع الدراسة، في الجانبيين اللغوي والبلاغي، بما يخدم موضوع هذه الدراسة ويدعمه.
- المنهج التطبيقي: وذلك من خلال دراسة موضوع أدب الكلام ودوره في بناء العلاقات الإنسانية من خلال تطبيقاته في القصة القرآنية.

## سادساً: الدراسات السابقة

لم يغب عن أذهان كثير من المفسرين، وجود إشارات قرآنية إلى هذا الجانب الذي نحن بصدده في هذه الدراسة. إلا أن ما ذكره في هذا السياق لا يعدو أن يكون مجرد إشارات متناثرة في بطون كتب التفسير. ولم أعثر خلال فترة طويلة من البحث والتنقيب على دراسة مستقلة تتعلق بأدب الكلام من الناحية القرآنية، أو من ناحية التفسير الموضوعي للقرآن. وهذا يتطلب جهداً مضاعفاً للوقوف على أشتات هذا الموضوع في ثنايا كتب التفسير، كقاعدة متينة يمكن الانطلاق منها للنظر في ما كتبه الآخرون من غير المفسرين.

وأودّ هنا أن أشير إلى أربعة من التفاسير التي أولت هذا الموضوع عناية أكثر من غيرها، وهي:

### • في ظلال القرآن/ سيد قطب

الذي يقرأ في هذا السفر العظيم، يلحظ أن فكرة الأدب لم تغب لحظة واحدة عن ذهن صاحبه، بل إننا لا نعدو الواقع إذا قلنا بأن هذا الكتاب من أوله إلى آخره، هو مجموعة من الآداب، وكتلة من المشاعر والأحاسيس. فهو ينبض بالذوق والحكمة في محاولته الكشف عن مكنونات الأدب في التعبيرات القرآنية، ويختار صاحبه من الخطاب القرآني ما يجلي هذه الحقيقة في أحسن صورة وأروع أسلوب. وسيد قطب<sup>١٤</sup> الذي قدم نفسه في سبيل الدعوة إلى دين الله تعالى، كان يدرك مدى أهمية الكلام الطيب في توطيد أركان هذه الدعوة، لأن الكلام على هذه الصورة يمثل الخير بجذوره المتينة التي تضرب في الأعماق، فلا يتزعزع بنيانه أمام الرياح الشديدة والأعاصير العاتية، أما الشرّ فمهما تطاول فمآله إلى زوال واندحار.

---

١٤ هو سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، أديب ومفكر إسلامي مصري، انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين، وحوكم بتهمة التآمر على نظام الحكم، وصدر الحكم بإعدامه سنة ١٩٦٦م. من مؤلفاته: «في ظلال القرآن» و«التصوير الفني في القرآن». انظر: الموسوعة العربية العالمية، ج ١٣، ص ٣٥٥.